# علم الجمال الفرويدي

# Freudiens aesthetic

قديدر سامي Guedider sami

جامعة وهران

يستقصي هذا المقال الأكاديمي بالبحث و التحليل، ماهية الظاهرة الجمالية عند واحد من كبار علماء القرن العشرين، و مؤسس التحليل النفسي " سيغموند فرويد "، نظرا لقيام نظرية التحليل النفسي على معطيات معرفية مستمدة من أسس فلسفية جمالية و فنية ابستيمولوجية، الأمر الذي من شانه أن يبلور العلاقة بين التحليل النفسي و فلسفة الجمال، معطيا في الحد ذاته فهما أعمق لماهية الإنسان انطلاقا من واقعه الجمالي.

**الكلمات المفتاحية:**

علم الجمال، نظرية الجميل، اللاشعور، الليبيدو، الغرائز، الفن، التطهير .

***Abstract:***

It commonly known that Sigmund Freud is deemed as a milestone in the purely literary and psychological rich terrain in the twentieth century.

His eminent and unparalleled weighty knowledge influenced the theoretical and critical literature heavily.

It is quite necessary to put a great deal of emphasis on the pivotal idea that reveals that Freud permitted the emergence of the key to the human psychological side in the literary production.sublimation.

Key words:

Symbolism.Unconscious .Œdipes complex. psycho-analysais.Condensation.

## 1/ المقدمة:

-لم يكن مفهوم الجمال و انعكاساته في الوعي الفردي و الواقع البشري بمنأى عن نظريات فرويد المعرفية، فقد خاض في فلسفة الجمال باعتبارها تجري من كل الظواهر الابستيمولوجية مجرى الدم من العروق، و هذا بالرغم من اعترافه بقصوره كمحلل نفسي عن سبر أصول النظرية الجمالية، ف : << من المؤسف أن التحليل النفسي لا يملك الشيء الكثير ليقوله لنا بصدد الجمال >>1

## 2/ الخلفية الفلسفية لعلم الجمال الفرويدي:

يعتبر فرويد أن علم الجمال يعنى بتحليل المتعة الجمالية التي تفرزها النفس البشرية ، ناهيك عن تحليل التقاء النفس مع الجمال الطبيعي، مما يولد متعة جمالية في الذات الفردية، إن: << المتعة الجمالية بصفتها انفعالا بيث في النفس نشوة خفية من الثمل، متعة لها طابعها المميز الخاص>> 2

و علم الجمال الفرويدي مرتبط بفهم فرويد لماهية الإنسان باعتباره امتدادا للطبيعة، حيث تقوم فلسفته الجمالية على أساس نفسي خالص، يعمل على إرجاع الفرد البشري خالي من الكبت ، تماما كما كان الإنسان البدائي قبل عملية قتل الأب الطوطم، و نشوء مشاعر الندم المنافية للمتعة الجمالية، فالجميل يختزل في الفكرالفرويدي بتحقيق الإشباع الغريزي وفق قانون الطبيعة، فالجميل ينظر له كلذة متولدة عن تحقيق رغبة غريزية.

*و انعكست آراء فرويد في التحليل النفسي على آراءه الفلسفية في علم الجمال،حيث نظر للظاهرة الجمالية من منظور ميتافيزيقي، مهتديا في بداية تكوين مفاهيمه الجمالية ، إلى أن الجمال يتحقق عندما ننجح في تحقيق إشباع جنسي،و النأي بعيدا عن العوامل المفضية للكبت الغريزي، يقول فرويد: << و كل ما يستطيع التحليل النفسي أن يقوله يقينا عم الجمال، يستمده من مجال الإحساس الجنسي، و ليس حب الجمال و جاذبيته إلا صفتين من صفات الموضوع الجنسي>> 3*

*ففرويد يربط بين الجمال و تحقيق الإشباع الجنسي، مما يخلق متعة جمالية يشعر بها الفرد سيكولوجيا، باعتبار أن جوهر الإنسان هو اللاشعور، إن الإحساس الجمالي يقول فرويد: << هو طريقة أخرى يسعى الإنسان بها للحصول على السعادة، بأن ينشد الجمال و أن يبحث عنه حيث وجدته حواسه و رست عليه أحكامه، و أن يستمتع بهذا الجمال استمتاعا يمنحه السعادة>> 4*

*و نلحظ أن فرويد قد تأثر في بداية تكوين مفاهيمه الجمالية بفلسفة " أبي قور' و التي تعتبر الجمال قاصرا على تحقيق اللذة و تجنب الألم، و هو ما استعان به نظريا لتكوين آراء جمالية وفق مذهب التحليل النفسي، ف: << الناس تجاهد للحد من الآلام و المتاعب من ناحية، و تسعى لتحقيق لذة موعودة من ناحية أخرى،و ما نسميه سعادة بمعناها الضيق*

*محصلة الإشباع الفوري في كثير من الأحيان لحاجات ملحة شديدة الوطأة، لكنها مؤقتة بطبيعتها، و لو طالت السعادة، و هو مطلب اللذة>> 5*

*و يقربنا فرويد بقوله هذا من معالم خلق الجمال وفق نظريته المعرفية، بِم يزيد يقين الباحث من أن الإشباع الجنسي للغرائز اللاواعية يؤذي إلى خلق الجمال المستمد من الطبيعة في الذات الفردية، و كأن فرويد يقر بأن تفكيك المكبوتات هو خطوة رئيسية لبلوغ المراتب الجمالية، ف : << المناطق الشهوية في التنظيم الجديد فعليها يقع عبء القيام بدور هام في الأعداد للاستثارة الجنسية، و ربما كانت العين أبعد المناطق عن الموضوع الجنسي و لكنها في موقف تعشق الموضوع، أكثر ما تكون استثارة بكيفية خاصة من الاستثارة نصف علتها بالجمال ، حين تتمثل في موضوع جنسي،و للسبب ذاته توصف مزايا الموضوع الجنسي بأنها فتن>> 6*

*فكل العوامل التي تساعد الفرد على إشباع رغباته الغريزية تعد أدوات لتحقيق الجمال ، بم في ذلك الأعمال الإبداعية بوصفها متنفسا للغرائز، فالعمل الإبداعي يضمن للمبدع التعبير عن لاشعوره بكل حري، محققا إشباعا و لو كان عبارة عن أوهام، مما يؤذي إلى خلق جمال من جراء الوصول إلى لاشعور الفرد و تحقيق النشوة العاكسة للجميل في النفس البشرية.*

*و وجد فرويد في الأدب آراء نظرية استند عليها و هو بصدد تكوين مفاهيم في علم*

*الجمال، لكون الأدب سجلا يضم بين طياته مختلف الآراء الجمالية عبر حقب التاريخ المختلفة، ناهيك عن كون الأدب يعد متنفسا للغرائز المكبوتة، و من ذلك ما وجده فرويد عند الشاعر الألماني " شيلر " و الذي دفعته غريزتا الحبو الجوع إلى إبداع الروائع الفنية و الجمالية ، و هنا يبدأ الربط بين الأثر الأدبي و تحقيق الجمال، حيث: << و فيما كنت أتخبط في حيرة بالغة وجدت نقطة ارتكاز أولى في فرضية الشاعر الفيلسوف شيللر التي تقول إن (( الجوع و الحب)) ينظمان حركة عجلات هذا العالم ، فالجوع كان يمكن أن يكون ممثل تلك الدوافع الغريزية التي تريد الحفاظ على الفرد، بينما كان الحب ينزع صوب المواضيع، و وظيفته الرئيسية التي تلقى كل تأكيد من الطبيعة هي الحفاظ على النوع >>7*

*و يُدخل فرويد بهذا التوجه النظري علم الجمال في صلب الصراع القائم بين الغرائز، و هما غرائز الحياة ( الإيروس) و غرائز الموت و التدمير ( التاناثوس)، بحيث ينظر إلى أن الجمال يتحقق عند انتصار غرائز الحياة على غرائز الموت.*

*و هذا التحول المعرفي في الرؤية الفرويدية للظاهرة الجمالية، تنبه إليه فرويد بعد وقوفه على الكوارث التي سببتها الحرب العالمية الأولى و الثانية، و ما قد يلحق بالجنس البشري من جراء استحواذ غرائز الموت و التدمير على شعور الفرد، مما اضطر فرويد لتعديل*

*نظريته الجمالية من مجرد تحقيق الإشباع الغريزي إلى الحفاظ على الجنس البشري في طبيعته، و بالتالي حسم الصراع الديالكتيكي لفائدة الإيروس على التاناثوس، يقول فرويد: << و قد استقر رأينا بعد مدة طويلة من الشك و التردد على أن نفترض وجود غريزتين فقط، هما غرائز الحياة ( إيروس) و ( غرائز الهدم) .....إن هدف أولى هاتين الغريزتين الأساسيتين، هو العمل دائما على تكوين وحدات أكبر، ثم العمل على بقائها، و بالاختصار، إن هدفها تأليف الأشياء بعضها إلى بعض، و هذه الغريزة الثانية هو على العكس، تفكيك الارتباطات، و ثمة هدم الأشياء، و يمكننا أن نفترض أن الهدف النهائي لغريزة الهدم، هو إعادة الكائنات الحية إلى حالة غير عضوية، و لهذا السبب فنحن نسميها (( غرائز الموت))*

*8>>*

*و هذا التحول المعرفي في نظرية فرويد الجمالية نتج عقب بلوغ غرائز الموت إلى الواقع، و التي كانت بمنأى من دراسات فرويد ، مما خلق واقعا معرفيا جديدا، ف: << طالما كان عمل غريزة الموت قاصرا على الداخل، فهي تظل صامتة،و نحن نفطن إليها فقط عندما تتجه إلى الخارج و تصبح غريزة هدم>>9*

*فالتحول في نظرية فرويد نتج عنه تحول في تحديد ماهية الجمال، فبعد أن كان عبارة على*

*تحقيق رغبات جنسية بالأخص، تحول ليصبح قاصرا على حفظ النسل البشري من الفناء بعد أن ذاق الويلات من جراء الحروب الطاحنة.*

*و فلسفة الإيروس و ربطها بالغريزة الجنسية استقاها فرويد من الفيلسوف أفلاطون، و الذي وضع أسس لعلم جمال مثالي، إذ يذهب أفلاطون إلى تصوير الحب الإلهي على انه رباط يوح بين الأشياء الفاضلة، و يضمن بقاءها، بيد أن فرويد يعوض الحب الإلهي بالحب الجنسي، في توظيف ذكي لمعالم الفلسفة الأفلاطونية، ف: << على هذا المنوال يكون ما نقوله عن اللبيدو و الذي يلازم الغرائز الجنسية متفقا و إيروس ( إله الحب)، كما يتحدث عنه الشعراء و الفلاسفة في أنه يعمل على جمع الكائنات الحية بعضها إلى بعض و على ربطهاجميعا في وثاق واحد >>10*

*فالوحدة بين أفراد المجتمع البشري و دفع خطر الفناء ، تتولاه غرائز الحياة،و التي هي جوهر كل نفس بشرية وفق فهم أفلاطون لماهية الإنسان ، إذ يذهب إلى أن : << الذي يفسر في الواقع هذا الشعور ، هو طبيعتنا الأصلية التي ذكرتها منذ قليل، و هي أننا كن قطعة واحدة ، و لذلك فإن رغبتنا في هذه الوحدةو محاولتنا في الحصول عليهاهي ما نسميه الحب >>11*

*و لما أخذ علم الجمال يتطور عند فرويد، بحيث أضحى ينظر غليه بكونه الحفاظ على*

*الجنس البشري من الفناء ، أع انتصار الإيروس على الثاناتوس، فبهذا كل الوسائل المفضية المساهمة في انتصار غرائز تعد سبيلا لتحقيق متعة جمالية، و من ذلك الفن عموما و الأدب خصوصا، لكونهما يخلدان الإيروس جماليا من خلال التعبير عنه بواسطة أشكال مستمدة من الواقع مما يعطي للإنسان موقعا في الحضارة، فالفن لا يفنى، يقول أفلاطون: << فكرت في الحالة الغريبة التي تدفعهم إليها رغبة الحب في أن يجعلوا لأنفسهم صيتا و أن يضمنوا لأنفسهم على مر العصور مجدا لا ينال منه الزمن ، و من أجل هذه الغاية هم مستعدون أن يركبوا المخاطر بدرجة أكبر مما يركبونها من أجل أبناءهم و هم مستعدون أيضا أن ينفقوا ثرواتهم و أن يفرضوا على أنفسهم أي أعمال ، و أخيرا أن يضحوا بحياتهم>> 12*

*و نجد لنظرية أفلاطون هذه في العمل ديمومة العمل الفني و انعكاسه في نفسية المبدع صدى عند فرويد ، عندما قال بأن الفن يمنح الفنان مجدا و شهرة تعوض الكبت ، و بالتالي تقلل من انبعاث غرائز الموت و التدمير.*

*<u>3/ الإستطيقا الفرويدية والفن:</u>*

*يمنح فرويد الفن خاصية تخليد الايروس جماليا ، ناهيك على كونه يحسم الديالكتيكية مع التاناثوس، فحتى لو فنى جسد المبدع فإن فنه لا يفنى و يظل خالدا خلود الحضارة، فالإبداع يتعانق مع الجميل ، كاسرا بذلك قانون الطبيعة الذي يفرض الفناء على كل حي، مما ينتج عنه تخليد الفرد جماليا في الحضارة .*

*فالجمال المنبثق من الأدب يجابه به فرويد ، التدميرية المنبعثة من اللاشعور، فالإبداع سلاح يشهر للدفاع عن موقع الإنسان في الحضارة، يقول فرويد: << كان طبيعيا أن نجهد لتعويض أنفسنا عن هذا الإجداب في الحياة، بأن نصوغ عالما من الأدب ، سواء في الرواية أو في المسرح ، نصور فيه شخصيات تعيش الحياة و لا تخشى الموت، و تعرف كيف تختار المنية التي تناسبها، و أخرى لا تخشى الموت، بل و تختاره لغيرها، و في الأدب وحده يمكن أن نواجه الموت، بأن ندخل كل تجارب الحياة و نخرج منها سالمين لم تصب منها حياتنا بأي أذى>> 13*

*فكل عمل أدبي وفق نظرية فرويد ما بعد الحرب، هو جمال يتيح للفرد العيش في ظل حضارة لا تحمل له إلا الموت و الدمار، و هنا نجد فرويد يواصل تأثره بأفلاطون، و الذي يذهب إلى أن الإبداع يخلد الفرد جماليا، ناهيك عن عمل الايروس و الذي يعتقد أفلاطون أنه يُورث بين الأفراد، و واضعا بذلك نظرية تعرض طريقة ديالكتيكية الغرائز، فيما يُعرف ب " التناسخ " .*

*فغرائز الموت تطارد غرائز الحياة ، لكن هذه الأخيرة تنفلت منها بانتقالها من جسد فان لآخر حديث الولادة، و كأن الطبيعة و الحضارة بحسب أفلاطون و من خلفه تابعه فرويد لا هم لها إلا القضاءعلى الجنس البشري، يقول أفلاطون: << فالطبيعةالفانية تحاول بوسائلها أن تستمر و أن تكون خالدة، و الوسيلة الوحيدة التي في حوزتها لهذا الغرض هي أن تنتج وجودا، بحيث تترك باستمرار محل الكائن القديم كائنا جديدا يتميز عنه >>14*

*ففرويد يستفيد من نظرية أفلاطون عندما يقول بانتقال الكبت بين الأفراد منذ فجر الحضارة إلى وقتنا الحاضر، و حجته في ذلك انتقال عقدة أوديب من البدائي مرورا بالحضارة اليونانية إلى القرون الوسطى و وصولا إلى العصر الحديث،و هذا بالاعتماد على الأدب بوصفه السجل الذي يعرض لنا طريقة انتقالها بين الأجيال.*

*و أذا كان أفلاطون بنظريته في تناسخ الغرائز قد أثر في فهم فرويد للجمال، نجد أرسطو أسهم في بلورة نظرية فرويد في نظرية الأدب، خصوصا ما تعلق بطبيعة العمل الفني و الذي يتيح للمبدع كسر قانون الزمن المادي، باعتبار اللغة الأدبية تقبل التأويلات المتعددة تعدد الأفراد و الحضارات، ناهيك ارتباطها العضوي بجوهر الفرد ( اللاشعور)، بما يتيح للأدب البقاء راسخا بقاء الفرد في الحضارة.*

*إذ أن أرسطو تنبه بأن الفن لا يموت و دائم الانفتاح على الممكن لكونه يصف ما سيقع مستقبلا مستعملا في ذلك لغة موحية و بعدا إنسانيا يتقاسمه كل الأفراد، و هذا في معرض*

*تفريقه بين المؤرخ و الفنان، حيث يجعل الفنان أبعدُ شأوا من المؤرخ، باعتبار التاريخ جزءا من دائرة الفن، فالفن يحمل التاريخ و معه ما يحتمل حدوثه مستقبلا، و الأعظم من هذا و ذاك أن الفنان يضمن لأمته الخلود فكريا و جماليا و بالتالي تحقيق ما يصبو إليه فرويد بترسيخ الإيروس حضاريا، يقول أرسطو مبينا أهمية الفن، و رابطا بينه و بين نظرية الأدب: <<رواية الشاعر ليست رواية ما يقع فعلا، بل ما يمكن أن يقع، على أن يخضع هذا الممكن إما لقاعدة الاحتمال أو لقاعدة الحتمية، ...فإن الشعر يكون أكثر فلسفة من التاريخ و أعلى قيمة منه، لأن الشعر عندئذ يميل إلى التعبير عن الحقيقة الخاص أو الفردية، و أعني بالحقيقة الكلية أو العامة، ما يقوله أو يفعله نمط معين من الناس، في موقف معين على مقتضى الاحتمال أو الحتمية >> 15*

*فالأدب ينطلق من موقف خاص ليعمم على العام لاشتراك الإنسانية في الدوافع و الأهداف الغريزية المفضية للإبداع، من تعبير على المكبوتات إلى تطهير الذات و المتلقي من الغرائز الضارة، لهذا يعتبر أرسطو المحتمل وقوعه تاريخيا هو تطابق دوافع العمل الإبداعي مستقبلا، ( التعبير عن الأوديبية )، فجمالية صفوكليس مثلا في كونه عبر جماليا عن هذا الكبت مانحا الإنسان الحديث فهما أعمقا لماهية النفس البشرية، فمسرحية أوديب لا تفنى لأنها تعالج كبت توارثه الإنسان عبر تاريخ الحضارة.*

*فعندما نخوض في جمالية الفن اليوناني نطرح السؤال الآتي: ما الذي قدمه هذا الفن للإنسانية؟*

*و الجواب يكون: قدم هذا الفن للإنسان أينما كان و في أي زمن عاش، فهما عميقا لباطن الإنسان و حذره من مغبة سيطرة لاشعوره على شعوره، ضاربا المثل بأوديب، فهذا ما بقي يرن من حضارة أثينا عبر التاريخ، و هي النظرية التي استفاد مها فرويد عندما لجأ إلى الثقافات البشرية لوضع نظرية في الأحلام، لكون اللاشعور المنتج للفنون و الأدب ناهيك عن الأحلام يعتبر خاصية مشتركة بين البشر لا تؤثر فيه عوامل الحضارة، فهو مرآة صادقة لمعرفة الإنسان قديمه و حديثه.*

*و هذه النظرية الأرسطية ، استفاد منها فرويد كما استفاد من قرينتها الأفلاطونية و هو يكون صورة حول ماهية الإنسان، إذ أخذ عن أرسطو اشتراك المبدعين في جوهر الفن و قيمته الجمالية و التطهيرية في نفسية المتلقي، و ممهدا للتداعي الحر، كما استفاد من أفلاطون القائل بتخليد الفن الممتزج بالجمال للإيرويس ناهيك عن تناسخ الغرائز.*

*فالأدب وفق فرويد هو جمال لكونه يحرر الفرد من دواعي الكبت اللاشعوري، ناهيك أنه يعيد للفرد انسجامه مع واقعه الاجتماعي، و ليس هذا فقط، فالفن و الأدب يضمن ربط ماضي الإنسان بحاضره فمستقبله، لكون الأدب سجلا حافلا بالخبرات النفسية يستفيد منها الأفراد في تطوير وعيهم الجمالي، مما ينعكس على ربط الإنسان الحديث بجذوره التاريخية، و بالتالي التقليص من الوهم الذي تفرضه الحضارة على المخيال الفردي بواسطة الأنا الأعلى، فأوهام الفن تجابه أوهام الحضارة، ف: << الفن نقيض الواقع،*

*وواقع الفن أوهام ترضي العقل الذي يريحه دائما أن يتخيل أشياء >>16*

*فكل انعتاق من أوهام الحضارة ( الأعراف ، التقاليد، الدين...بحسب فرويد) و إرجاع الإنسان حرا في بعده الطبيعي هو تحقيق للجمال الفرويدي، و هو ما ترمي إليه فلسفة فرويد في الأدب.*

*4/ الخاتمة:*

*و مما وصلنا إليه، نجد أن فلسفة الجمال الفرويدي تقترن إلى حد بعيد بالظاهرة الفنية، لكون الفن أداة يستعملها المبدع لتحقيق الجمال و بالتالي الارتباط بالجميل الموجود مسبقا في الطبيعة، و كأن فرويد بهذه التصور يلحق الإنسان بالطبيعة جماليا، و بالتالي يضم الفرد بوصفه جزءا من الطبيعة فصلته الحضارة عنها، و بالتالي اللجوء إلى الطبيعة التي تضمن للإيروس الانبعاث دون قيود، ففرويد بنظريته الجمالية ينتقل من صراع الغرائز داخليا إلى صراع أكبر بطلاه الطبيعة في مجابهة الحضارة، فانتصار الطبيعة وهو تحقيق للجمال و ترسيخ لكل جميل أفرزته الحضارة، و هذا التصور يعكس يترجم نظرية فرويد في الفرد باعتباره ابنا للطبيعة.*

*الإحالات و الهوامش:*

*1/ فرويد، الحب و الحرب و الحضارة و الموت، ، ترجمة، عبد المنعم الحفني، القاهرة، دار الرشاد، الطبعة الأولى، 1992 ص، 45*
*2/ فرويد، نفس المصدر، ص، 44*

*3/ المصدر نفسه، ص، 54*
*4/ نفسه، ص، 54*

*5/ نفسه، ص، 45*
*6/ فرويد، ثلاث مباحث في نظرية الجنس، سامي محمود علي، القاهرة، دار المعارف، الطبعة الثانية، 1969 ص، 89*

*7/ فرويد، قلق في الحضارة، ، ترجمة، جورج طرابيشي، بيروت، دار الطليعة، الطبعة الرابعة، 1996 ص، 80*

*8/ فرويد، معالم التحليل النفسي، ترجمة، عثمان نجاتي، الجزائر، ديوان المطبوعات الجامعية، الطبعة الخامسة ص، 50*

*9/المصدر نفسه، ص، 52*
*10/ فرويد، ما فوق مبدأ اللذة،، ترجمة، إسحاق رمزي، القاهرة، دار المعارف، الطبعة، الخامسة، 1994 ص، 87*

*11/ أفلاطون، المأدبة، ترجمة، مجموعة أساتذة عرب، مصر، دار الكتب الجامعية، 1973ص، 48*

*12/أفلاطون، نفس المرجع، ص، 90*
*13/ فرويد، الحب و الحرب و الحضارة و الموت، ص، 30*

*14/ أفلاطون، المأدبة، ص، 88*

*15/ أرسطو، فن الشعر،، ترجمة، إبراهيم حمادة، مصر، المكتبة الأنجلو مصرية ص، 114*

*16/ فرويد، الحب و الحرب و الحضارة و الحرب، ص، 44*